

## دوافع اجتماع الصحابة رضی الله عنهم في سقيفة بني ساعدة

إعداد الباحث/

### أيمن حسيب عبد الحميد عبد الخالق

الباحث بمعهد الأفروآسيوي للدراسات العليا-جامعة قناة السويس

تخصص (الماجستير) في الدراسات الأفروآسيوية

تحت إشراف/

#### أ.د/عبد المنعم صبحي أبو شعيشع

الأستاذ المتفرغ بقسم الدعوة والثقافة الإسلامية

كلية أصول الدين

جامعة الأزهر- فرع طنطا

مشرفاً مشاركاً

#### أ.د/ حسنين السعيد حسنين

أستاذ الدراسات الإسلامية

معهد الدراسات الأفروآسيوية

جامعة قناة السويس

مشرفاً رئيساً

### ملخص البحث

فهذا البحث بعنوان: دوافع اجتماع الصحابة رضی الله عنهم في سقيفة بني ساعدة، وقد خُصص البحث في الأخير إلى أن اجتماع سقيفة بني ساعدة يعتبر أول برلمان سياسي جسد إرادة الأمة في انتخاب السلطة في فترة حرجة اتسمت بالفراغ السياسي الذي تركه موت النبي صلى الله عليه وسلم عبر وسائل حضارية متمثلة في الحوار والتسوية السياسية القائمة على مبادئ، وأسس تعتبر الآن في صلب النظرية الديمقراطية الحديثة. وكان لهذا الاجتماع عدد من الدوافع التي أدت إليه، أضف إلى ذلك أن اجتماع السقيفة بما انطوى عليه من مجموعة متداخلة من السلوكيات المؤسسية والممارسات السياسية يمثل إطار عمل دستوري مضمون يفني بحاجة القانون الدستوري في ضمان الحقوق والحريات، وإقامة أنظمة نيابية خاضعة للقانون والمسائلة.

كما تبين من خلال البحث أن اجتماع السقيفة يشكل أرضية جيدة لفكر سياسي إسلامي معاصر نحو اجتهاد سياسي يثري الرصيد المعرفي للأمة، ويفني بحاجاتها

السياسية، فما زال يغري أهل النظر لاستخراج أحكامه وتضمين دلالاته في القواعد الدستورية المعاصرة. والاستشهاد به على أهلية الفقه الدستوري الإسلامي وسبقه في ابتكار صيغ وممارسات واجتهادات تواكب التطور الحاصل في مجال الفقه الدستوري.

## Summary

This research is entitled: Motives for the Companions' Meeting in Saqifah Bani Sa'idah, and the research concludes in the end that the meeting of Saqifah Bani Sa'idah is considered the first political parliament that embodied the nation's will to elect power in a critical period characterized by the political vacuum left by the death of the Prophet through civilized means represented in dialogue and compromise. Political principles based on foundations are now considered at the core of modern democratic theory. This meeting had a number of motives that led to it. In addition, the Saqifah meeting, with its overlapping set of institutional behaviors and political practices, represents a guaranteed constitutional framework that fulfills the need of constitutional law to guarantee rights and freedoms, and to establish representative systems subject to law and accountability.

It has also been shown through the research that the Saqifah meeting constitutes a good ground for contemporary Islamic political thought towards a political jurisprudence that enriches the nation's knowledge base and fulfills its political needs. Citing it on the eligibility of Islamic constitutional jurisprudence and its precedence in devising formulas, practices and jurisprudence keeping pace with the development in the field of constitutional jurisprudence.

## مقدمة

إن الحمد لله تعالى نحمده، ونستعين به، ونستهديه، ونستغفره، ونعوذ بالله تعالى من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبد الله ورسوله، وصفيه من خير خلقه وخليله، وعلى آله وصحبه، ومن سار على هديه إلى يوم الدين.

### أما بعد؛

فمن الثابت تاريخياً أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يُعين للمسلمين من يقوم بأمر الدولة الإسلامية بعد وفاته، بل لم يحدد الطريقة التي تتبع في اختيار الحاكم بعده، وإنما أوضح القواعد العامة التي يجب أن يراعيها الحاكم في سيرته في الناس، ويبين سيرته وأقواله صلى الله عليه وسلم المثل العليا التي يجب التمسك بها، والمحافظة عليها من جانب الحاكم والمحكومين على السواء، وأعطى الإسلام فرصة للاجتهاد وفق الأصول والثوابت والقيم والمبادئ، وراعى تغير الزمن والمكان، وتوالي الأجيال، وتقلبات الظروف الاجتماعية والاقتصادية، وغيرها مما يتحكم في النظام السياسي ويؤثر فيه، ومن ثم ترك الرسول صلى الله عليه وسلم أمر اختيار الحاكم، ونظام الحكم للناس ليقروا ما يناسب متطلبات الزمان والمكان والظروف المتغيرة.

وكان لاجتماع السقيفة أثر بالغ، فهو بمنزلة مؤتمرٍ سياسيٍّ عالج فيه المسلمون مشكلة لم يكن لهم يمثلها عهد من قبل، ودارت فيه المناقشات وفق الأساليب الحديثة. لذا جاء بحثي تحت عنوان: دوافع اجتماع الصحابة رضي الله عنهم في سقيفة بني ساعدة.

### تولاً: أهمية البحث:

تبرز أهمية البحث في كونه يأتي في سياق جدلي محتدم حول فكرة وجود فقه دستوري إسلامي، فهو مجال يضطرب فيه النقاش السياسي والفكري، وبالتالي يحتاج إلى استبيان علمي؛ لإخراجه من هذه الإثارات الجدلية إلى عالم المسلمات في أهم

موضوع دستوري يتعلق بتأسيس القواعد التي تحدد طبيعة النظام وبناء مؤسساته السياسية.

### ثانياً: أهداف البحث:

يهدف البحث إلى تجلية وثائق الفقه السياسي الإسلامي ومواده، ونشرها على صفحة الواقع من خلال التحليل الاستيعابي، حسبنا أن نبرز معالم السبق، وأن نجتني منها أهم الخبرات السياسية والقواعد الدستورية. فمن الخطأ قراءة واقعنا السياسي المعاصر بمعزل عن التجارب والخبرات السياسية الماضية.

### ثالثاً: تساؤلات البحث:

جاء هذا البحث ردًا على بعض التساؤلات التالية:

- هل شكل اجتماع سقيفة بني ساعدة منظومة من المفاهيم تستفتح أنظار الفكر السياسي الإسلامي المعاصر؟
- هل هناك شروط وضعت لاختيار خليفة لرسول الله صلى الله عليه وسلم من الصحابة رضی الله عنهم؟

### رابعاً: المنهج المستخدم في البحث:

المنهج التاريخي: استعنت بالمنهج التاريخي لاسترداد أهم الأحداث التي جرت في سقيفة بني ساعدة.

### خامساً: هيكلية البحث:

سنحاول في هذا البحث أن نستوعب سرد وتحليل وتقويم مسائل ووقائع اجتماع سقيفة بني ساعدة وعرض أهم الدوافع لهذا الاجتماع، وسندلل كذلك من خلالها وفق أسس ومبادئ علمية على الأفكار الرائدة لهذا البحث. والتي تجعلنا نقف مع هذا الاجتماع من عدة حقائق، وهي:

- التعرف على الدوافع التي تُحرِّك المتحاورين وتُوجِّههم.

- موقف الأنصار خلال المناقشة في الاجتماع مع المهاجرين.
- موقف المهاجرين من الاجتماع.
- بيعة أبي بكر الصديق رضی الله عنه:

### أولاً: دوافع اجتماع الأنصار في "سقيفة بني ساعدة"<sup>(١)</sup>:

لما كان العرب أميين وحديثي عهد بالرسالة، والنبوة، والتوحيد، فقد شكلت لهم وفاة النبي صلى الله عليه وسلم صدمة نفسية، وعقائدية مروعة. إذ استعصى على مسلمين كثير، بما فيهم بعض أساطين الصحابة رضی الله عنهم، كعمر بن الخطاب رضی الله عنه، استيعابها في مستهلها، ومن منظور آخر، تسبب الخطب الجلل في أزمة سياسية ومؤسسية طاحنة، جراء فراغ زعامة الأمة بعد وفاة هاديها ومؤسسها وقائدها، كونه صلى الله عليه وسلم لم يكن قد سمى أحدًا بعينه لخلافة المسلمين من بعده، وإن أوكل إلى أبي بكر رضی الله عنه، إمامة الناس في الصلاة، نيابة عنه صلى الله عليه وسلم، أثناء مرضه الأخير، ومن خلال ما سبق يمكن الوقوف مع الأسباب والدوافع التي أدت بالصحابة إلى الاجتماع في سقيفة بني ساعدة، والراجح أن الأنصار كانوا مدفوعين بعدة عوامل للاجتماع على عجل، لعل من أهم هذه الدوافع ما يلي:

### الدافع الأول: وفاة النبي صلى الله عليه وسلم:

"توفي النبي محمد صلى الله عليه وسلم ضحى يوم الإثنين "في ١٢ ربيع الأول ١١هـ-٧ حزيران ٦٣٢م" في المدينة"<sup>(٢)</sup>، وأحدثت وفاته صدمة عنيفة، فاجأت المسلمين عامة، وخلقت وضعية خاصة ذات ملامح منفردة ومصيرية، وبرزت فوراً مسألة الحفاظ على إنجازاته من دين ودولة، وبالتالي مسألة خلافته.

وساهمت غيبته صلى الله عليه وسلم في إبراز الطابع الديني للأحداث على الساحة؛ حيث أخذت المصالح الاجتماعية للقبائل المختلفة التي ما زالت ضمن البيئة الإسلامية تعبر عن نفسها بأشكال مباشرة وصريحة تتلاءم مباشرة مع محتواها.

والواضح أن مسألة قيادة المسلمين بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم، كانت المسألة الرئيسة والحاسمة التي ارتبطت بها كل المسائل الأخرى على أن تتلائم مع الأسس التي وضعها لإقامة الدولة، ولا يستطيع المؤرخ لتاريخ صدر الإسلام السياسي،

والاجتماعي أن يتجاهل التناقضات، والصراعات التي تفجرت بعد وفاته صلى الله عليه وسلم.

"ففي الوقت الذي أعلن فيه خبر الوفاة، برزت لدى كبار الصحابة من الأنصار، الأوس والخزرج، قضية اختيار خليفة للنبي صلى الله عليه وسلم، ذلك أنه لم يرد في القرآن الكريم نص صريح يحدد أسس انتخاب خليفة لرسول الله صلى الله عليه وسلم، لكنه دعا إلى الشورى.

يقول الله تعالى: [وَالَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ وَإِذَا مَا غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ، وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ] (٣).

وقال تعالى: [فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ] (٤).

والواضح "أن كلمة الشورى قرآنية كما يتضح من الآيتين السالفتين، أما الأولى، فتحدد للأمة الإسلامية خصائص من بينها أن "أمرهم شورى بينهم"، وأما الثانية، فقد نزلت بعد هزيمة أحد، ومن المعروف أن النبي صلى الله عليه وسلم شاور أصحابه قبل الخروج إلى أحد، وهي التي أدت إلى هذا الخروج للقاء المشركين، وكان رأي النبي صلى الله عليه وسلم التحصن بالمدينة، وعدم الخروج.

وهكذا فإن القرآن الكريم يطلب من النبي استشارة الأمة في الأمر؛ حتى تنتفي الشبهة تمامًا في المسألة، وهذا الأمر هو لفظ عام للأفعال، والأقوال والأحوال، ومن ضمنها مسائل الحرب التي أدت الآراء المختلفة فيها إلى الهزيمة" (٥).

وتنفيذًا لهذا التوجه، لم يضع النبي صلى الله عليه وسلم تفاصيل خارجة عن إطار هذه المعاني القرآنية العامة، وبقيت سياسته منسجمة مع الهيكلية القبلية، ولم تمس نهائيًا زعاماتها ورئاستها القائمة، بالإضافة إلى ذلك، فإن لم يتصرف كسياسي باسم قريش، أو باسم قبيلة ما، بل اكتفى صلى الله عليه وسلم في عمله السياسي بشخصه وحده، وكانت هيئته صلى الله عليه وسلم الدنيوية لا تنفصل عن سلطانه النبوي الروحي، فهو صلى الله عليه وسلم لم يجمع القبائل من

حوله كشريف قريشي، وإنما كني ورسول فحسب، وقبيلته قريش كانت آخر من يمكن أن يدعي أنها قد ساهمت مساهمة جدية في مساعدته ونصرته صلى الله عليه وسلم.

"وكان النبي صلى الله عليه وسلم أراد بذلك أن يترك الأمر شورى بين المسلمين ليختاروا من يصلح لخلافته صلى الله عليه وسلم من بينهم جرياً على عادة النظام القبلي الذي ألفه العرب، وبخاصة أنه لم يكن له ولد ذكر يستخلفه من بعده صلى الله عليه وسلم.

لا يمكن هذه الإشكالية، أن تجد حلاً معقولا، ومقبولا إلا على أرضية النظام القبلي السائد، وإن المؤرخ لهذه الحقبة، لا بد أن يرى جملة من التناقضات والصراعات التي تفجرت بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم على أنها جزء لا يتجزأ من تركيبة الأمة نفسها"<sup>(٦)</sup>، وهو ما يفسر لنا تسابق القبائل، والبطون على أن يكون الأمر لها دون غيرها، وتجلت النفس العربية والطبيعة القبلية آنذاك، فالأنصار يخافون قريشا والمهاجرون إن استأثروا بالأمر دونهم، وهم جميعا فيما بينهم يتوجسون، وتخشى كل من الأوس والخزرج صاحبتهما، ولم يكن الوضع في مكة بأقل منه في المدينة، فقد دب التنافس في هذا الأمر بين بطون قريش، فسعى أبو سفيان بن حرب في إغفار صدر علي بن أبي طالب رضی الله عنه على أبي بكر الصديق رضی الله عنه، ونعت عليا والعباس بـ "الأذلين المستضعفين"<sup>(٧)</sup>.

ومن جهة أخرى: "تضمنت روايات المصادر نية النبي صلى الله عليه وسلم، وهو على فراش الموت، كتابة وصية للمسلمين لن يضلوا بعدها، غير أنه حصل لغط، واختلاف بين الحاضرين، فمن قال: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد غلبه الوجه، وعندكم القرآن حسبنا كتاب الله، وعلى رأس هؤلاء عمر بن الخطاب رضی الله عنه، ومن قائل: قربوا يكتب لكم رسول الله صلى الله عليه وسلم، الأمر الذي ضايق النبي صلى الله عليه وسلم، فقال لهم: قوموا عني، ما ينبغي أن يكون بين يدي النبي صلى الله عليه وسلم خلاف، فقال عندئذ ابن عباس: الرزية كل الرزية ما حال بين رسول الله صلى الله عليه وسلم، وبين أن يكتب لهم ذلك الكتاب من اختلافهم ولغظهم"<sup>(٨)</sup>.

ولعل النبي صلى الله عليه وسلم قد تأثر برأي عمر رضی الله عنه أكثر مما تأثر برأي غيره نظراً لصدقه، وإخلاصه وصراحته في رأيه.



بل اتضححت إذن الخطورة التاريخية لمسألة الخلافة على مصير الأمة الإسلامية السياسي بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم، وكانت مفتوحة وموضع أخذ ورد، ومثار جدل بين قوى مختلفة، وتذكر المصادر أن الأنصار اجتمعوا في سقيفة بني ساعدة للتباحث فيمن يتولى الأمر بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم، لكنها لم تذكر من الذي دعا إلى هذا الاجتماع، ولا كيف تمت الدعوة، وإنما روت حصول الاجتماع في السقيفة.

ويبدو أن الدعوة للاجتماع تمت على عجل دون إعلام المهاجرين، وكان الهدف أخذهم على حين غرة، وخلق واقعة سياسية، أو أن بعض الأنصار تذاكروا في أمر من يخلف النبي صلى الله عليه وسلم خلال مرضه، وأتحم توقعوا وفاته، فلما حصلت الوفاة دعوا إلى هذا الاجتماع فاجتمعوا.

يقول الطبري: "إن النبي صلى الله عليه وسلم لما قبض اجتمعت الأنصار في سقيفة بني ساعدة، فقالوا: نولي هذا الأمر بعد محمد صلى الله عليه وسلم سعد بن عبادة"<sup>(٩)</sup>، والراجح أن تغلب الخزرج على الأوس هو الذي دفع الخزرج إلى ترشيح رئيسهم سعد بن عبادة رضى الله عنه.

والجددير بالذكر أن سيد الأوس سعد بن معاذ رضى الله عنه كان قد توفي قبل ذلك، ويبدو أن الأوس لم يكونوا راضين في قرارة أنفسهم عن تولية سيد الخزرج، ولا ندري أكانوا جميعًا حاضرين في اجتماع السقيفة، أم أنهم كانوا يراقبون الموقف من بعيد، وينتظرون تطوراته.

### الدافع الثاني: الحاجة الماسة إلى وجود خليفة بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم:

"لقد شعر الأنصار أنهم بحاجة ماسة إلى اختيار خليفة يتولى شئون المدينة، وأمر المسلمين، فمد يديهم مهددة بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم من الطامعين فيها من رجال القبائل بوصفها العاصمة الإسلامية، كما أن كثيرًا من رجال القبائل لم يؤمنوا، وإنما أسلموا بلسانهم خوفًا من قوة المسلمين المتنامية"<sup>(١٠)</sup>.

### الدافع الثالث: الخوف من سلب الخلافة منهم إلى غيرهم:

"لقد أدرك الأنصار بأنهم مهددون قبل غيرهم من أولئك الذين لم يؤمنوا من غير المسلمين؛ وذلك لأنهم كانوا السند لرسول الله صلى الله عليه وسلم، وهم الذين ناصروه، واستطاعوا مع المهاجرين أن يضعوا نواة الدولة الإسلامية الأولى، التي تمكنت من إخضاعهم، والسيطرة على ديارهم"<sup>(١١)</sup>.

كما رأوا أنهم أصحاب المدينة، وأصحاب الغلبة والنفوذ فيها، وأنهم ما زالوا أصحاب الضرع والزرع، وأن الحكم حق لهم دون غيرهم، "ويرغبون في التصرف كأسياد واسترداد سيادتهم التي تنازلوا عنها للنبي صلى الله عليه وسلم في حياته، ولا يجوز لغيرهم أن يحكمهم في بلدهم، بدليل أن الحباب بن المنذر الأنصاري رضى الله عنه طلب من الأنصار، في إحدى مراحل النقاش مع أبي بكر الصديق رضى الله عنه، وأصحابه من المهاجرين، بإجلاء هؤلاء عن أرضهم إذا لم يصغوا لما يقول"<sup>(١٢)</sup>.

### الدافع الرابع: رأى الأنصار أحقيتهم بالخلافة:

"رأى الأنصار بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم أحقيتهم بالخلافة من المهاجرين نظراً لسابقتهم في الإسلام، ونصرتهم لرسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه رضى الله عنهم، وإيوائهم له، وإليهم كانت الهجرة"<sup>(١٣)</sup>.

وما نتج عن ذلك من فضائل لم تتوفر لأي قبيلة عربية، وعززوا موقفهم بالإشارة إلى أن النبي صلى الله عليه وسلم "استمر مدة طويلة يدعو قومه إلى الدين الجديد، ولم يؤمن به منهم إلا عدد ضئيل لم يكونوا قادرين على الدفاع عنه، أو تعزيزه صلى الله عليه وسلم، وهذا ما اختص به الأنصار، فبقوتهم دانت العرب للإسلام، وهو ما دفع سعد بن عبادة رضى الله عنه إلى أن يخاطبهم بقوله: "استبدوا بهذا الأمر، فإنه لكم دون الناس"<sup>(١٤)</sup>.

ولكن ليس كما يدعي المستشرقون أن الأنصار رضى الله عنهم كانوا يتنافسون على السلطة والخلافة، فهذه كلها شبه لا يغني بطلانها عن إبطالها، فمواقف الأنصار من التضحية والإيثار واضحة تمام الوضوح.

### الدافع الخامس: التحسب من تولية خليفة من قریش:

لأن الأنصار يعلمون المدى بينهم وبين القرشيين، أرادوا تحاشي هيمنة قریش والتي كانت ظاهرة منذ فتح مكة، والتي ارتضوها احتراماً للنبي صلى الله عليه وسلم، وخشوا إن انتخب مرشح قرشي من المهاجرين، أن يستبد بالأمر، فيقعوا تحت سيطرة قریش التي حاربوها ثماني سنوات، مما يهدد باختلال التوازن لغير مصلحتهم في المرحلة القادمة.

والواضح أن هذه الهواجس لم تكن غائبة عن تفكيرهم منذ فتح مكة؛ حيث كانت الراية معقودة لسعد بن عباد رضي الله عنه، وقد بلغت به الحماسة، فقال: "اليوم يوم الملحمة، اليوم تستحل الحرمة، فعد النبي هذا القول على أنه موجه ضد قریش، فأخذ الراية منه وأعطاها لقرشي مهاجر هو علي بن أبي طالب رضي الله عنه، كما استثناهم النبي صلى الله عليه وسلم من العطاء في أعقاب غزوة الطائف، مما أثار قلقهم، وقد أدرك النبي صلى الله عليه وسلم هذا الشعور لديهم بعد أن كثرت القالة منهم، فبدده قائلاً: "ألا ترضون يا معشر الأنصار أن يذهب الناس بالشاة والبعير، وترجعوا برسول الله إلى رجالكم؟ فوالذي نفس محمد بيده لولا الهجرة لكنت امرءاً من الأنصار، ولو سلك الناس شعباً وسلكت الأنصار شعباً، لسلكت شعب الأنصار"<sup>(١٥)</sup>، كما أوصى المهاجرين بهم في مرضه الأخير حين قال: "يا معشر المهاجرين استوصوا بالأنصار خيراً، فإن الناس يزيدون والأنصار على هيبتها لا تزيد، وإنهم كانوا عيبتي التي أويت إليها، فأحسنوا إلى محسنهم، وتجاوزوا عن سيئهم"<sup>(١٦)</sup>.

ويتضح أن فكرة انتخاب خليفة للمسلمين بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم أخذت بعض الاتجاهات عند الأنصار:

"الاتجاه الأول: وجود نهج سياسي محصور بالنخبة.

الاتجاه الثاني: أن الوظيفة النبوية كانت تفهم كوظيفة قيادية تستلزم

خلفاً"<sup>(١٧)</sup>.

## ثالثاً: موقف الأنصار خلال المناقشة في الاجتماع مع المهاجرين:

مما لا شك فيه أن الروايات التاريخية الكثيرة التي حفظتها لنا المصادر حول ما دار في اجتماع السقيفة، يشوبها الكثير من التضارب، ومع ذلك فهي تشترك في نقاط جوهرية تشكل أرضية صالحة ينظر إليها على أنها ذات محتوى تاريخي يستند إليه في التاريخ لهذه الحقبة؛ "حيث كانت مسألة خلافة النبي صلى الله عليه وسلم مسار جدل اتسم بالحدة أحياناً، وقد تولى كل من سعد بن عبادة رضى الله عنه، والحباب بن المنذر رضى الله عنه، التكلم باسم الأنصار عامة، وقد افتتح الأول المناقشة بخطبة تشير إلى أن الأنصار أعطوا لأنفسهم الحق بالتفرد في تقرير مصير خلافة النبي صلى الله عليه وسلم مع ما لهذه القضية من أهمية وخطورة، دون الوقوف على رأي الطرف الآخر الذي يشكل شطر المجتمع الإسلامي في المدينة، وهم المهاجرون، وقد عللوا موقفهم هذا بأسباب موجبة لا تخرج عن موقفهم المشرف من الدين وصاحبه، ونصرتهم له صلى الله عليه وسلم، وخذلان أكثر العرب له، وعجز المهاجرين عن حمايته، وحماية أنفسهم حتى اضطروا إلى الهجرة إلى مدينة الأنصار، فكان بعد ذلك النصر المؤزر، مما أوضحناه في دوافع الاجتماع"<sup>(١٨)</sup>.

ولا شك بأن هذا التصرف هو سلوك انفصالي لا يأخذ بالحسبان مجموع الأمة، ثم إن رئاسة الدولة إنما هو أمر ديني، وسياسي معاً.

ويبدو أن بعض الأنصار أدركوا بعد ذلك، حقيقة وضعهم في أنهم ليسوا وحدهم أصحاب الحق في تقرير أمر الخلافة، وأن لهم منافساً قوياً سوف يزاوهم، إنهم المهاجرون، يدل على ذلك رد الفعل الأولي عند هؤلاء على خطاب سعد بن عبادة رضى الله عنه، فبعد أن دعموا رأيه، وأيدوا موقفه، استدركوا الواقع التاريخي الذي يعيشون فيه، ورأوا أن المهاجرين لن يسلموا بهذا الأمر، ولا بد أن يعارضوه، وجرت بينهم مناقشة هادئة انتهت إلى القول بالثنائية في الحكم "منا أمير ومنكم أمير"<sup>(١٩)</sup>.

كان الحباب بن المنذر رضى الله عنه صاحب هذه النظرية، وجاءت كجواب على الرفض القاطع للمهاجرين في تفرد الأنصار بالإمارة دون سواهم، معللاً رأي هؤلاء بقوله: "منا أمير ومنكم أمير، فإننا والله ما ننفس هذا الأمر عليكم أيها الرهط، ولكننا نخاف أن يليه أقوام قتلنا آباءهم وإخوانهم"<sup>(٢٠)</sup>.

وقد حاول الجاحظ أن يشرح موقف الأنصار، وسلوكهم في اجتماع السقيفة وبخاصة فيما يتعلق برأيهم في ازدواجية الإمارة، وهو يفهم كلام الأنصار: منا أمير ومنكم أمير، كما لو أنهم أرادوا أن يقولوا: "لا بد لنا معشر الأنصار من أمير على أي حال، وأنتم بعد أعلم بشأنكم، فأقروا عليكم من بدا لكم، وليس في هذا طعن على خاصة أبي بكر، كما أنه ليس فيه تأكيد لإمامته دون غيره"<sup>(٢١)</sup>.

ويتضح مما سبق: أن الأنصار ما أرادوا الانفراد بالإمارة وحدهم، لكنهم أرادوا ازدواجية الإمارة مع المهاجرين، إلا أن خوفهم كله راجع إلى تولى غيرهم مما لا يخشون فيهم إلا ولا ذمة.

### ثالثاً: موقف المهاجرين من الاجتماع:

كان المهاجرون آنذاك أكثر بعداً عن هذا المناخ السياسي، فبعضهم قد شغل بوفاة النبي صلى الله عليه وسلم وجهازه، ودفنه، وبعضهم ما تزال الصدمة تملأ نفسه، وبعضهم لم يفكر في اختيار خليفة، معتقداً أن هذا الأمر هو آخر ما يقع الاختلاف فيه، وهم على يقين أن ما من طائفة من المسلمين سوف تنازعهم في هذا الأمر"<sup>(٢٢)</sup>.

"ولما بلغ خير اجتماع السقيفة أبا بكر الصديق رضى الله عنه، وعمر بن الخطاب رضى الله عنه مضيا إلى هناك مسرعين، بفعل أهمية وخطر الموضوع المطروح من مشكلة الحكم، والتقيا في طريقهما أبا عبيدة بن الجراح فأخذهما معهما، وشكل هذا الثلاثي جماعة متماسكة، ربما منذ المرحلة المكية من الدعوة، فهم ينتمون إلى عشائر قرشية صغيرة، وكان هذا سبباً لتقاربهم، وقد واجهوا خصوصية متفردة لم تكن قادرة على خلافة النبي صلى الله عليه وسلم في عمله التوحيدي.

وشق أبو بكر رضى الله عنه طريقه إلى صدر الاجتماع، وألقى خطبة في المجتمعين بين فيها وجهة نظر المهاجرين عامة من قضية اختيار خليفة لرسول الله صلى الله عليه وسلم"<sup>(٢٣)</sup>، وهي تختلف في مضمونها عن خطبة سعد بن عباد رضى الله عنه.

"لقد فضل أبو بكر رضى الله عنه وحدة الأمة التي أسسها النبي صلى الله عليه وسلم، والسابقة في الجهاد من أجل الإسلام، وحدد الأولوية بالأقدمية في حياة الإسلام، وبالعداب في سبيل العقيدة والإيمان، وقدم قاعدة الصحة كمييار لاختيار الأفضل، ثم أشاد بمزايا الأنصار، ولم يغمطهم حقهم من التكريم، إلا أن ذلك يأتي في المرتبة الثانية.

وتضمنت الخطبة الأسباب الموجبة ليكون المرء من المهاجرين محصورة في أنهم أول من عبد الله في أرضهم، وآمن بالله عز وجل وبالرسول صلى الله عليه وسلم، وهم أولياؤه وعشيرته، وأحق الناس بهذا الأمر من بعده، لا ينازعهم في ذلك إلا ظالم.

ويبدو أنها رد على مقالة سعد بن عبادة رضى الله عنه التي قالها في الأنصار قبل حضور المهاجرين، وكررها الحباب بن المنذر رضى الله عنه، وهي صفة جعلت كثيرًا من المسلمين يتراجعون عن المطالبة بالحكم خشية من أن يكون ظالمًا لا سيما أن توقيت إثارة هذه المطالب لم يكن مناسبًا؛ "لأن الوضع كان مفعمًا بالحزن، والألم نتيجة وفاة النبي صلى الله عليه وسلم، ولكن هناك صراعًا خفيًا يكاد يعصف بالأمة الإسلامية يتمثل في اعتقاد أهل النبي صلى الله عليه وسلم، وعشيرته بأحقيتهم بهذا الأمر" (٢٤).

وهكذا كانت السابقة في جانب المهاجرين من زاوية إسلامية محضة، "وكان التفوق في جانبهم أيضًا من وجهة نظر عربية محضة؛ "لأنهم ينتمون إلى قبيلة قريش، قبيلة النبي صلى الله عليه وسلم، وبالتالي فإن الوراثة في جانبهم" (٢٥).

### رابعًا: بيعة أبي بكر الصديق رضى الله عنه:

"تطورت المواقف المتباينة التي عرضت في اجتماع السقيفة نحو التأزم، ولم تنفرج إلا بعد أن أيد بشير بن سعد الأنصاري أبو النعمان بن بشير رضى الله عنه، وهو من الخزرج، موقف المهاجرين" (٢٦)، ويبدو أنه استاء من تولية سعد بن عبادة رضى الله عنه، ويدل ذلك على أن الاعتراضات في اجتماع السقيفة نحت اتجاهًا قبليًا، "فقد خشيت الأوس أن يتزعزع خزرجي الأمة الإسلامية، وكذلك خشيت الخزرج من أن يتأس أوسى حكم المسلمين، وقد أنهت هذه المفارقة موقف الأنصار ودورهم، الأمر

الذي أدى إلى مبايعة أبي بكر كأمير واقع، أو فجأة على حد قول عمر بن الخطاب رضى الله عنه.

وتحرك أبو بكر رضى الله عنه في تلك اللحظة مستغلا تحول الموقف لصالح المهاجرين، فلم ينح لأحد من المتكلمين التعليق على كلام بشير بن سعد رضى الله عنه، ورأى الفرصة سانحة لإقفال باب المناقشة، فدعا المجتمعين إلى مبايعة عمر بن الخطاب رضى الله عنه، أو أبي عبيدة بن الجراح أمين هذه الأمة، ولكن عمر أبى إلا أن يتولاها أبو بكر، أفضل المهاجرين، وثاني اثنين إذ هما في الغار، وخليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم، فطلب منه أن ييسط يده لبياعه، فسبقه بشير بن سعد رضى الله عنه، وأسيد بن حضير رضى الله عنه، ثم أقبل الأوس والخزرج على مبايعته، ووثب بعد ذلك أهل السقيفة يتدرون البيعة، وكأنهم كانوا يترقبون أن يأخذ أحدهم زمام المبادرة، ولم يبق أحد لم يبايع سوى سعد بن عبادة رضى الله عنه، وما منعه من ذلك سوى حراجة وضعه كزعيم رشحته الخزرج، وصحة جسمه؛ حيث كان عليلاً، وفي اليوم التالي لهذه البيعة الخاصة، بويع أبو بكر البيعة العامة في المسجد<sup>(٢٧)</sup>.

وهكذا تولى المهاجرون السلطة الفعلية في الوقت الذي ابتعد الأنصار عنها كثيراً دون أن يكون للتسوية التي طرحها أبو بكر رضى الله عنه في اجتماع السقيفة: "نحن الأمراء وأنتم الوزراء، أي نصيب من التنفيذ، باستثناء مشاركة تمت لهم في عهد عمر بن الخطاب رضى الله عنه الذي قرب جماعة منهم على حساب قريش، ومشاركة أكثر فعالية في عهد علي بن أبي طالب رضى الله عنه الذي اعتمد عليهم في إدارته وحروبه.

جرت هذه الوقائع في الوقت الذي كان فيه علي بن أبي طالب رضى الله عنه، والزيير بن العوام رضى الله عنه، ونفر من بني هاشم، وطلحة بن عبيد الله رضى الله عنه، مشغولين بجهاز النبي صلى الله عليه وسلم، ودفنه، فغابوا عن اجتماع السقيفة، وعليه، لم يكن لعلي رأي مباشر في النقاش إلا أنه بايع أبا بكر، واتفق مع جماعة المسلمين بغض النظر عن المدة التي قضاها بدون بيعة<sup>(٢٨)</sup>.

## الخاتمة

الحمد لله علام الغيوب، الذي تنشرح بذكره القلوب، وتغفر بفضله وكرمه الذنوب، وفي رحابه تزول الهموم وتنفرج الكروب، والصلاة والسلام على خير خلق الله أجمعين، ورسول الهدى للعالمين، سيدنا محمد بن عبد الله صلى الله عليه، وعلى آله وصحبه أجمعين، ومن سار على هديه إلى يوم الدين.

### أما بعد؛

في ضوء ما ذكرناه تبين لنا بعض النتائج المستنبطة من هذا البحث، وكذلك أهم التوصيات، وهي على النحو التالي:

أهم اهتماموا بانتقال السلطة من وقت وفاة النبي صلى الله عليه وسلم، فلم يؤجلوا الموضوع، خاصة وأنه لم يكن هناك وريث منصوص عليه، فاهتمامهم بالأمر يدل على حضور هذا الوعي لديهم.

حين أراد الصحابة الاجتماع لم يلتفتوا إلى أي أمر قد يعوقهم عن الاجتماع والاستماع إلى جميع الأطراف.

من أهم الشواهد وأعظمها على الوعي السياسي للصحابة أنهم لم ينحازوا بالسلطة مع إمكانية ذلك.

كان تداول الأمر بين الصحابة بالشورى، يحتد أحياناً ويخفت أحياناً أخرى.

بيعة أبي بكر رضى الله عنه لم يكن بإجماع كل الصحابة كما بينا، ولم يكن الأمر بحاجة إلى إجماع كامل، وخروج أفراد من هذه البيعة، أو تأجيلها لا يعد خرقاً للبيعة التي تمت بمشاركة مجموع الصحابة.

لم يخل الاجتماع من حدة وعنف لفظي، لكن يحسب للصحابة تداركهم للأمر واحتوائهم له.

استند الصحابة في اختلافهم إلى أمور محكمة، وخضعوا للدليل حين ورد.



مما يدل على أن الخلاف لم يكن كبيراً بين المهاجرين والأنصار أن الاجتماع والتداول واختلاف الآراء وإحضار الأدلة والبيعة كلها تمت في بضع ساعات.

ويظهر من خلال هذا كله مستوى النضج السياسي الذي ترك الرسول صلى الله عليه وسلم أصحابه عليه، ومقدار الإمكانيات السياسية التي تمتع بها جيل الصحابة، والتي مكنتهم بعد ذلك من وضع قدم في الأندلس وأخرى في الصين.

#### ثانياً: التوصيات:

في ضوء ما ذكرناه يوصي الباحث بعدة أمور منها:

تسليط الضوء من الباحثين على اجتماع سقيفة بني ساعدة وما دار فيه من حوار ونقاش بين الصحابة المجتمعين وتطبيق مقومات نجاح هذا الاجتماع على الواقع المعاصر.

كما يوصي الباحث بعدم الانسياق وراء الشائعات التي قد تثار حول صحابة النبي صلى الله عليه وسلم.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين

## الهوامش

- (١) سقيفة بني ساعدة في المدينة، وهي ظلة كانوا يجلسون تحتها، وهي عبارة عن بناء مسقوف واسع، له جدران من ثلاث جهات والجهة الرابعة مفتوحة، ترتفع أرضيتها قليلاً عما حولها، وسقفها من جذوع الأشجار وجريد النخل غالباً، يجتمع فيها أبناء القبيلة للبحث في قضايا القبيلة، أو للتواصل الاجتماعي بالسّم والمؤانسة؛ فهي شبيهة اليوم بالديوانيات والمضافات المختصة بالعائلات، وأما بنو ساعدة الذين نسبت إليهم السقيفة، فهم حي من الأنصار، وهو أبو ساعدة بن كعب بن الخزرج. ينظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج ٣، ص ٢٢٨: ٢٢٩، الناشر: دار صادر، بيروت، الطبعة: الثانية، سنة (١٩٩٥م).
- (٢) أبو جعفر، محمد بن جرير الطبري (٢٢٤ - ٣١٠هـ)، تاريخ الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج ٣، ص ٢٠٠، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الناشر: دار المعارف بمصر، الطبعة: الثانية، سنة (١٣٨٧هـ - ١٩٦٧م).
- (٣) سورة الشورى، الآية (٣٧: ٣٨).
- (٤) سورة آل عمران، الآية (١٥٩).
- (٥) رضوان السيد، السلطة في الإسلام دراسة في نشوء الخلافة، بحث في كتاب: بلاد الشام في صدر الإسلام، ص ٤٠٧: ٤٠٨، المؤتمر الدولي الرابع لتاريخ بلاد الشام، سنة (١٩٨٧).
- (٦) أيمن إبراهيم، الإسلام والسلطان والملك، ص ١١٥، الناشر: دار الجندي، دمشق: سوريا، الطبعة: الأولى، سنة (١٩٩٨م).
- (٧) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج ٣، ص ٢٠٩.
- (٨) ابن سعد، محمد بن سعد بن منيع الزهري، الطبقات الكبرى طبقات ج ٢، ص ٢٤٢، الناشر: مكتبة الخانجي، القاهرة، الطبعة: الأولى، سنة (١٤٢١هـ - ٢٠٠١م).
- (٩) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج ٣، ص ٢٠١: ٢١٨.
- (١٠) علي محمد محمد الصلّابي، السيرة النبوية: عرض وقائع وتحليل أحداث، ص ١٠٦، الناشر: دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت: لبنان، الطبعة: السابعة، سنة (١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م).
- (١١) محمود شاکر الحرساني أبو أسامة، تاريخ الإسلام، ج ٣، ص ٤٩، الناشر: المكتب الإسلامي، الطبعة: الثامنة، سنة (١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م).

- (١٣) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٣، ص٢١٨: ٢٢٠.
- (١٤) ابن قتيبة، أبو محمد عبد الله بن مسلم، الإمامة والسياسة، ج١، ص١٢، الناشر: محمد مصطفى فهمي، مصر، سنة (١٣٣١هـ-١٩١٢م).
- (١٥) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٣، ص٢١٨.
- (١٦) عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري، أبو محمد، جمال الدين (ت ٢١٣هـ)، السيرة النبوية لابن هشام، ج٤، ص٩١، تحقيق: مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري، وعبد الحفيظ الشلبي، الناشر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، مصر، الطبعة: الثانية سنة (١٣٧٥هـ-١٩٥٥م).
- (١٧) السيرة النبوية لابن هشام، ج٤، ص٢٥٧.
- (١٨) د. هشام جعيط، الفتنة جدلية الدين والسياسة في الإسلام المبكر، ص٣٤، الناشر: دار الطليعة، بيروت: لبنان، الطبعة: الرابعة، سنة (٢٠٠٠م).
- (١٩) ينظر: الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٣، ص٢١٨.
- (٢٠) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٣، ص٣١٨.
- (٢١) أحمد بن يحيى بن جابر بن داود السبأذري (ت ٢٧٩هـ)، جمل من أنساب الأشراف، ج٣، ص٣١٨، تحقيق: سهيل زكار، ورياض الزركلي، الناشر: دار الفكر، بيروت: لبنان، الطبعة: الأولى، سنة (١٤١٧هـ-١٩٩٦م).
- (٢٢) عمرو بن بحر الجاحظ أبو عثمان، العثمانية، ص١٧٧، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، الناشر: دار الجيل، بيروت، سنة (١٤١١هـ-١٩٩١م).
- (٢٣) محمود شاكر، تاريخ الإسلام، ج٣، ص٥١.
- (٢٤) ينظر: الطبري، تاريخ الملوك والرسل، ج٣، ص٢١٩: ٢٢٠.
- (٢٥) عواطف العربي شنقارو، فتنة السلطة، الصراع ودوره في نشأة بعض غلاة الفرق الإسلامية (من القرن الأول حتى القرن الرابع الهجري)، ص٣٨، الناشر: دار الكتاب الجديد المتحدة، سنة (٢٠٠١م).
- (٢٦) د. هشام جعيط، الفتنة جدلية الدين والسياسة في الإسلام المبكر، ص٣٥.
- (٢٧) ابن قتيبة، الإمامة والسياسة، ج١، ص١٢: ١٣.
- (٢٨) الطبري، تاريخ الملوك والرسل، ج٣، ص٢٢١: ٢٢٢.

(٢٩) أحمد بن يحيى بن جابر بن داود البَلَّاذُري، جمل من أنساب الأشراف، ج٢، ص٢٦٢، ٢٦٣.

## المراجع والمصادر

- ١- أحمد بن يحيى بن جابر بن داود البَلَّاذُري (ت ٢٧٩هـ)، جمل من أنساب الأشراف، تحقيق: سهيل زكار، ورياض الزركلي، الناشر: دار الفكر، بيروت: لبنان، الطبعة: الأولى، سنة (١٤١٧هـ - ١٩٩٦م).
- ٢- أيمن إبراهيم، الإسلام والسلطان والملك، الناشر: دار الجندي، دمشق: سوريا، الطبعة: الأولى، سنة (١٩٩٨م).
- ٣- ابن سعد، محمد بن سعد بن منيع الزهري، الطبقات الكبرى طبقات الناشر: مكتبة الخانجي، القاهرة، الطبعة: الأولى، سنة (١٤٢١هـ - ٢٠٠١م).
- ٤- ابن قتيبة، أبو محمد عبد الله بن مسلم، الإمامة والسياسة، الناشر: محمد مصطفى فهمي، مصر، سنة (١٣٣١هـ - ١٩١٢م).
- ٥- أبو جعفر، محمد بن جرير الطبري (٢٢٤ - ٣١٠هـ)، تاريخ الطبري: تاريخ الرسل والملوك، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الناشر: دار المعارف بمصر، الطبعة: الثانية، سنة (١٣٨٧هـ - ١٩٦٧م).
- ٦- د. هشام جعيط، الفتنة جدلية الدين والسياسة في الإسلام المبكر، الناشر: دار الطليعة، بيروت: لبنان، الطبعة: الرابعة، سنة (٢٠٠٠م).
- ٧- رضوان السيد، السلطة في الإسلام دراسة في نشوء الخلافة، بحث في كتاب: بلاد الشام في صدر الإسلام، المؤتمر الدولي الرابع لتاريخ بلاد الشام، سنة (١٩٨٧).
- ٨- عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري، أبو محمد، جمال الدين (ت ٢١٣هـ)، السيرة النبوية لابن هشام، تحقيق: مصطفى السقا، وإبراهيم الأبياري، وعبد الحفيظ الشلبي، الناشر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى الباي الحلبي وأولاده، مصر، الطبعة: الثانية سنة (١٣٧٥هـ - ١٩٥٥م).
- ٩- علي محمد محمد الصَّلَّابِي، السَّيْرَةُ النَّبَوِيَّة: عرضٌ وقائعٌ وتحليلٌ أحداث، الناشر: دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت: لبنان، الطبعة: السابعة، سنة (١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م).
- ١٠- عمرو بن بحر الجاحظ أبو عثمان، العثمانية، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، الناشر: دار الجليل، بيروت، سنة (١٤١١هـ - ١٩٩١م).

- ١١- عواطف العربي شنقارو، فتنة السلطة، الصراع ودوره في نشأة بعض غلاة الفرق الإسلامية (من القرن الأول حتى القرن الرابع الهجري)، الناشر: دار الكتاب الجديد المتحدة، سنة (٢٠٠١م).
- ١٢- محمود شاكر الحريستاني أبو أسامة، تاريخ الإسلام، الناشر: المكتب الإسلامي، الطبعة: الثامنة، سنة (١٤٢١هـ-٢٠٠٠م).
- ١٣- ياقوت الحموي، معجم البلدان، الناشر: دار صادر، بيروت، الطبعة: الثانية، سنة (١٩٩٥م).